

السيرة- سيرة الصحابييات الجليلات - بنات النبي الكريم - سيرة السيدة رقية ذات الهجرتين
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٦-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

لمحة قصيرة عن سيرة رقية بنت النبي :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس والعشرين من دروس سير الصحابييات الجليلات ، ومع بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابية الجلييلة رقية ذات الهجرتين .
هي رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولدت بعد زينب، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة أولاً، وإلى المدينة المنورة ثانياً، من تزوجها؟

تزوجها عتبة بن أبي لهب، فلما أنزلت آية:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: 1]

قال أبوه له:

((رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق

ابنته، ففارقها قبل الدخول .

-فقد ذاق النبي صلى الله عليه وسلم

مأساة تطليق البنت، طلاق المرأة

كسرهما، وكسر لأبيها وأمها، النبي عليه الصلاة والسلام حينما جعله الله أسوة حسنة للمؤمنين إلى نهاية الدوران، كان كاملاً في كل موقف، ذاق ألم فقد الولد، ذاق ألم تطليق البنت، ذاق ألم أن يفشو في المدينة حديثاً لا يليق بالسيدة عائشة زوجة رسول الله، ذاق ذلك، ذاق الفقر، وذاق الغنى، وذاق القهر، وذاق النصر، وذاق الصحة، وذاق المرض، كل شيء أذاقه الله عز وجل، ووقف الموقف الكامل، ليكون عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة- .



فقال له أبو لهب: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق ابنته فطلقها، -من تزوجها بعد عتبة بن أبي لهب؟ عثمان بن عفان، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية: ٣٨]

أحياناً يقع ظلمٌ بين الزوجين، الله سبحانه وتعالى يغني كلاً من سعته، بل إن الطرف المظلوم هو المكرّم عند الله عز وجل، اجعل نصيبك الله في كل شيء، كن في طاعته، واجعل نصيبك رضوان الله عز وجل، وأنت الفائز، والعاقبة لك، على كل آية:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

فيها إعجاز، أبو لهب حي يرزق، وجاءت الآية تقول:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

وهو ذكي، أعمل عقله، لو أنه ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعد نزول هذه الآية ، وقال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، نفاقاً لو قالها، لأبطل هذه الآية، هناك أبلغ من ذلك، يقول الله عز وجل:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٤٢]



هؤلاء وصفوا بأنهم سفهاء، وأنهم سيقولون هذا، وعقولهم في رؤوسهم، لو أنهم سكتوا لأبطلوا هذه الآية، أبو لهب يحتاج إلى أن يذهب، وأن يعلن إسلامه، ليبطل هذه الآية، هؤلاء لو سكتوا، وإن الله عز وجل إرادته طليقة، بيده كل شيء، لو أعطاك الاختيار، قادرٌ أن يسلبه منك في أية لحظة، ((إن الله تعالى إذا أحب إنفاذ أمر سلب

كل ذي لب لبه))

لا ينفك مع الله ذكاؤك، ولا عقلك، ولا حسن تدبيرك، يؤتى الحذر من مأمنه، ينفك مع الله استقامتك، ينفك مع الله توبتك، ينفك مع الله إنابتك، هذا الذي ينفك، لو كنت أذكى الأذكياء وأراد الله أن يؤدبك، سلب منك العقل .

لذلك هناك أشخاص، يتميزون بالذكاء، يرتكبون حماقاتٍ ما بعدها حماقات، اعتدوا بذكائهم، فحجب الله عنهم ذكاءهم، اعتدوا بقوتهم، فحجب الله عنهم قوتهم، اعتدوا بمالهم، حجب الله عنهم طريقة الانتفاع بمالهم- . فارقها قبل أن يدخل بها، ثم تزوجها عثمان بن عفان، وولدت له عبد الله، وبه كان يُكْنَى ، وبلغ ست سنين، ثم



توفي، وتوفيت رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر، وكانت قد أصابتها (الحصبة)

وأجل الإنسان بيد الله، لا يدري متى يأتيه؟ .

إليكم هجرتها إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان، والعبر التي يمكن أن نستفيد منها من هذه الهجرة؟

أيها الأخوة، الآن ندخل في موضوع الهجرة الأولى: لقد كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة، رخصةً من الله تعالى للمستضعفين في مكة، من المسلمين الذي أوذوا، واضطهدوا من أجل إسلامهم .

قال ابن إسحاق:

((لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .

-ماذا يستتبط من هذا الأمر؟ يستتبط من هذا الأمر رحمة النبي عليه الصلاة والسلام، هو في مَنَعَة، مكانته في بني هاشم، وعمه أبو طالب، تمنعه من أن ينال بأذى، لكن رحمته بأصحابه، وحرصه عليهم، وشفقته عليهم، حملته على أن يعطيهم هذه الرخصة .

أنيبه إلى نقطة دقيقة، أرجو أن تكون واضحة: الإنسان يحب أن يكون الناس كلهم حوله، هذه شهوة، لذلك سمح لهم أن يغادروا مكة، وأن يعيشوا في بلاد الحبشة، وهم بعيدون عنه، طبعاً تبعد عنه خدماتهم، وولاؤهم، ومحبتهم، لكن رحمته صلى الله عليه وسلم كانت غالبيةً .

شيءٌ آخر: أحياناً إنسان يغرر بإنسان، وهو في مكان أمين، هذا منتهى اللؤم، أن تورط إنسان، وأن تضعه في مكان تصعب الحياة فيه، وأنت معافى في مكان مرتاح فيه، النبي عليه الصلاة

والسلام كان في المعمة، وكان وسط المعركة، وكان في بؤرة المتاعب، ونجاً أصحابه من هذه المتاعب، هناك من يفعل العكس، هو في مأمن، هو في بحبوحة، هو في مكان مريح، هو في وسائل الحياة المريحة، والذين غرر بهم، يعانون من الآلام ما لا يطاق، أهذا هو الوفاء؟ أهذه هي الرحمة؟ .



هو في معمة المشكلات، وقد أرسل أصحابه إلى الحبشة ليرتاحوا من العذاب، من الاضطهاد، من التنكيل، وهو عليه الصلاة والسلام لا يقدر أن يمنعهم، هو أيضاً ضعيف، لماذا كان ضعيفاً عليه الصلاة والسلام؟ لم لم يجعله الله ملكاً؟ فإذا أعطى أمر، ملايين مملينة تنفذ هذا الأمر، جعله ضعيفاً، حينما جاء بالرسالة، يستطيع أحد الناس

أن يتهمه، ويقول: هذا ساحر، وقالوا: ساحر، وقالوا: مجنون، قال تعالى:

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾

[سورة القلم الآية: ٢]

وقالوا : كاهن، وقالوا: مصاب بمرض يحتاج إلى طبيب، وقالوا: شاعر، والذين قالوا عنه: مجنون، وساحر، وكاهن، وشاعر، ناموا في بيوتهم مرتاحين، ما أحد تعرض لهم بالأذى، لأنه كان ضعيفاً، والحكمة في كون النبي ضعيفاً، ليكون الإيمان به حقيقةً، إيماناً تحت الضغط، ليكون الإيمان به ثميناً، أما إذا كان الإنسان قوياً، فأنت بالطبع تعلن ولائك له خوفاً منه، وتعلن ولائك له طمعاً فيما عنده، أما إذا كان ضعيفاً، لم يكن قادراً على أن يحمي نفسه، ولا أصحابه، فإذا آمنت به، فأيمانك صحيحٌ مئةً في المئة، لا تعتريه شائبة، لأنك لا ترجوه ولا تخافه، قال تعالى:

﴿قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا مَا يُوحَىٰ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٠]

﴿قُلْ إِنِّي لَّا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

[سورة الجن الآية: ٢١]

أحبه أصحابه، تعلّقوا به، فدوه بأرواحهم، وأموا لهم، وأولادهم، ويقول لهم كل يوم:

﴿قُلْ إِنِّي لَّا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

[سورة الجن الآية: ٢١]

الأبلغ من ذلك، قال تعالى:

﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٨٨]

ويقول لهم:

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٠]

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٨٨]

إنسان يقول للناس، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي لَأَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

[سورة الجن الآية: ٢١]

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٠]

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة الزمر الآية: ١٣]

والناس يتعلقون به، هذا هو الإيمان الصحيح، الإنسان أحياناً يميل لكي يؤمن بقوي، والقوي عنده أشياء كثيرة، يعطيك إياها، يعطيك أمناً أحياناً، يقول لك: أنا من جماعة فلان، فتمشي بالعرض، يعطيك أمناً، يعطيك مالاً، يعطيك شأناً، أما حينما تؤمن بإنسان مغمور، لا يعرفه أحد، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً، معنى هذا: أن إيمانك به صحيح، إيمانك به صادق، فهذا الذي يمكن أن يقال في هذا المقام:

((لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً، لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه))

فأكثر الذين يجتمع الناس حولهم، لا يحبون أن يغادروهم أحد، كلما كثر سوادهم علا شأنهم، وكلما كثر أتباعهم تمكنت مكانتهم، فلذلك هؤلاء الذين يحبون أن يجتمع الناس حولهم، لا يوافقون على أن يغادروهم أحد، أما النبي عليه الصلاة والسلام فقلبه كقلب الأم، رحمته بأصحابه جعلته يسمح لهم أن يغادروا مكة إلى الحبشة، ويعيشون بعيدين عنه - .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله تعالى بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقية، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعظيم شأن الهجرة عند الله تعالى، أنزل فيها قرآناً يُنلى إلى يوم القيامة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾

[سورة النساء الآية: ٩٧-٩٩]

أيها الأخوة، وقعت الفرقة بين رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين عتبة بن أبي جهل ذلك قبل الدخول عليها للسبب الذي ذكر، تقدّم عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطبها، وينال شرف المصاهرة العزيزة، ويتقبّل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الخاطب الكريم، الذي كان أول من أسلم على يدي أبي بكر الصديق، ويزداد هذا الصحابي الجليل شرفاً على شرف حينما يكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قيل: لم ير زوجان قط أجمل ولا أبهى من رقية وعثمان، كانا زوجين سعيدين، غير أن فرحة العروسين لم تكتمل، -لماذا؟- لأن عشيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حينما علمت أنه آمن بمحمد قاطعته، وحينما علمت أنه تزوّج ابنته، ازدادت عداً له، -وهذا شأن الحق والباطل إلى يوم القيامة، معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل،



لقب عثمان بذي النورين لأنه تزوج من ابنتين من بنات النبي الكريم

أساسها الولاء، أهل الحق يوالون الحق، وأهل الباطل يوالون الباطل، فهذا الإنسان له مكانة عليّة في قومه، فلما آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام، خسر من حوله، وهذا امتحان .



معركة الحق والباطل أزلية

في صحابي جليل اسمه: مصعب بن عمير، كان ابناً مدلاً لأسرة سرية جداً في مكة، فكانت حياته خيالية؛ يأكل أطيب الطعام، ويرتدي أجمل الثياب، وله مكانة، وله مال، فهو شاب، وله وسامة، وله أناقة في ثيابه، حياته ناعمة جداً، فلما أسلم، قاطعه أهله، وحرّموه كل شيء، هذه محنة، هذا امتحان .

أنت طالب جنة عرضها السموات

والأرض إلى أبد الأبد، لا يمكن من أن تمتحن، لا بدّ أن تمتحن، الامتحان أساسي، وطّنا أنفسكم، كلما كان طلبكم أعلى كان الامتحان محققاً، أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ قال: لن تمكن قبل أن تنبئ، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٤٢]

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٢]

سلعة الله غالية، ومن طلبها بثمنٍ بخسٍ حُرِمَ منها، عليك أن تؤدِّي الثمن - .
سيدنا عثمان حينما أسلم، خرج عن مشورة عشيرته، لذلك حقد عليه رجال عشيرته ونساؤها،
وأخذوا يدبرون الكيد له ولزوجته، وحققت قريش عليه، وأخذت موقفاً عدائياً منه، لأنه هجر دين
قومه، وباع من حوله بدينه .

لمَّا أخذت قريش في إعداد الأذى لكل
من أسلم، وتقرب من محمدٍ صلى الله
عليه وسلم، تشاور المسلمون فيما
يتخذونه من تدابير شتى، لمواجهة
حملات هؤلاء الأعداء، التي تستهدف
تعذيب من أسلم أشد العذاب، فقد كان
بلال يوضع على الرمل المحرق،
يوضع الحجر فوق صدره، ويقول: أحد
أحد، -لذلك ما كان ثمة متنفس، وما



كان في طريق للخلاص إلا الهجرة - .

أيها الأخوة، استجاب المسلمون لرغبة النبي عليه الصلاة والسلام في الهجرة إلى الحبشة ، وتسلك
عددٌ منهم من مكة صوب الساحل، كي تقلِّهم سفينتان كانتا متجهتين صوب الجنوب، لو أن أهل
قريش علموا بهجرة هؤلاء لمنعوهم، حتى مغادرة البلد تحتاج إلى موافقة، فكان هناك صعوبة
كبيرة في التسلك إلى الحبشة دون أن يعترضهم معترض .

أول من ركب في هاتين السفينتين: سيدنا عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وأبو حذيفة وامرأته سهلة، والزيبر، ومصعب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة،
وامرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلى .



المرأة في الإسلام لها شأن كبير، هي
كالرجل تماماً، من حيث التكليف،
والتشريف، والمسؤولية، فهذا الذي
يتوهم أن المرأة دونه بكثير، هذه نظرة
جاهلية، الصحابييات الجليلات كن عوناً
لأزواجهن على طاعة الله - .

سيرة السيدة رقية ذات الهجرتين

أمر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون، - وهذا هو التنظيم الدقيق في الحياة الاجتماعية، التنظيم حضارة،

((إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم))

أي نزهة، ليس فيها أمير، تقع فيها مشكلات لا تنتهي، كل واحد له مزاج، كل واحد له رأي، فحتى في الحج، إذا لم تكن فيه قيادة حكيمة للفوج، تنشأ مشكلات لا تنتهي، هذا النظام الذي أمر به النبي:

((إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم))

أمره نافذ- ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المهاجرون منفردين أو مع أهليهم، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة بضعةً وثمانين مهاجراً، عدا أبنائهم الصغار الذين خرجوا معهم أو ولدوا هناك، بضعةً وثمانون مسلماً، تركوا مكة المكرمة، وفيهم كبار الصحابة))
هو أنك مع الله، في بلدك، في بلدٍ بعيد، في بلدٍ قريب، في بلدٍ بارد، في بلدٍ حار، في قريةٍ صغيرة، في مدينةٍ كبيرة، في بلادٍ جميلة، في بلادٍ غير جميلة، الله معك، وهذا من عظمة الإسلام،

((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لكن أضع بين أيديكم بعض الحالات:

امرأةٌ محجبة في بلد، فإذا ركبت الطائرة، وغادرت هذا البلد إلى بلدٍ آخر، خلعت الحجاب، وسافرت بأبهى زينة، أهذا إيمان؟ أبدأً، هذا سلوك اجتماعي فقط، يوم كانت في بلدها، كانت مقهورةً بالنظام الاجتماعي، تخاف على سلامتها، تتحجّب، فإذا ركبت الطائرة، هي في الطائرة، تلخ كل ثيابها، وتبدو في أجمل ثياب، لا قيمة لهذا الحجاب إطلاقاً .

أي شيءٍ تفعله، فإذا سمحت لك فرصة، تتخلى منه، فهو قهر، هو ضغط، المؤمن يعبد الله أينما كان، أينما ذهب، كقول أحد العلماء:

((بستاني في صدري، ماذا يفعل أحد أعدائي بي؟ إن أبعدوني فإبغادي سياحة، وإن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟))



تجد المؤمن مستقيماً في بلده، وفي السفر، وبالطريق، وفي الطائرة يتغير، وثمة إنسان تحت ضغط، إذا رفع عنه الضغط، تقلت، إذاً: فهذا الذي يفعله في بلده ليس ديناً، إنما هو قهر . لذلك أنا أتمنى على كل أخواننا الكرام ألا يلجؤوا مع أولادهم إلى القمع، أعرف رجلاً والله لا أزكي على الله أحداً، لكن أعلمه صالحاً، لكن ما سلك مع بناته سلوك الإقناع والتعليم، سلك معهن سلوك الإجبار، أجبرهن على الحجاب، فلما توفي، خرجن سافرات، كاسيات، عاريات، فالبطولة أن تربي أولادك بطريقة، لو غبت عنهم، لو غادرت الدنيا إلى الآخرة، أن يبقوا على العهد. أعرف صديقاً لي، توفي بحادث، وله دعوة في بيته طيبة، توفي بحادث، وترك زوجة وثلاثة أولاد، الزوجة تركها في العشرين من عمرها، مضى على موته، أو هذا الحادث عشرون عاماً، وما تغير شيء في البيت، مما كان على عهده، له التزامه، انضباط البيت، لا يوجد اختلاط، لا توجد أجهزة لهو، البيت هو، إنسان يموت، ويخلف زوجة في العشرين وأولاد، ونظام البيت نظام إسلامي، لا يتغير فيه شيء إطلاقاً، هذه البطولة، البطولة أن تدع أثراً يطبق بعد غيابك .



من يطيعك خوفاً منك يعصيك في غيابك

أما إن أطاعك من حولك في حضورك، وعصوك في غيابك، هذه ليست طاعة، الذي يخاف من قوتك، هذا لا يحبك، وهذا ليس مطيعاً لك، بل هو يحب نفسه، أطاعك لسلامة نفسه، أطاعك حباً بذاته، أما العبرة أن تطاع عن قناعة، لذلك:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خيرٌ

من المعنف))

حاول أن تقنع، لا أن تقمع، حاول أن تجبر، لا أن تجبر، سيد المرسلين، سيد الخلق، قال له:

﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٦٦]

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

[سورة هود الآية: ٨٦]

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٧٢]

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

[سورة القصص الآية: ٥٦]

الله عز وجل بين له، قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٥٦]

فبطولتك في تربية أولادك أن تقنعهم،
لا أن تقمعهم، أن تأخذ بيدهم إلى الله،
لا أن تجبرهم على شيء ليسوا قانعين
فيه .



رجل حضر درساً أو درسي علم، فوجد
الحجاب حقاً، فألزم زوجته بالحجاب
دون أن يقنعها، إما أن تضعي على
رأسك هذا المنديل أو أطلقك، فهو له
مكان عمل في بلد بعيد، يقول: هي في

بطولتك أن تقنع أولادك بالإسلام بدل إجبارهم عليه

الطريق من دمشق إلى بيروت، وهي تبكي، لأنها وضعت الحجاب قهراً .
رجل حكيم نصحه أن تعود إلى ما كانت عليه، وأن يقنعها بالحجاب خلال ستة أشهر، وهذا الذي
حدث، أقنعها، عاملها أطيّب معاملته، بيّن لها عظمة الشرع، بين لها ما عند الله من عطاء كبير إذا
هي أطاعت ربها عز وجل، بين لها أن المرأة تؤذي من حولها إذا أظهرت مفاتها ، إذا هي
تطلب الحجاب منه طواعيةً، هذه البطولة أن تحمل من حولك على أن يختاروا طاعة الله ، لا أن
تكرههم على طاعة الله، أن تقنعهم، أن تبين لهم، حتى يختاروا هم طاعة الله، إذا اختاروا هم
طاعة الله، ارتقوا بهذا الاختيار، أما إذا أكرهتهم لم تنفعهم، بل كرهتهم في الدين .

ومن الناس من يجبر أبناءه على الصلاة، فتجد هذا الابن يصلي، لكنه يكره الصلاة كما يكره
الموت، أما إذا نلّطّف به، وشجّعته، وكافأه، وأقنعه، فإذا صلى هذا الابن، فهذه صلاة جيدة جداً ،
هذه صلاة ناتجة عن قناعته، فلذلك أقنع ولا تقمع، بين ولا تكره

علم ولا تعنّف .

هناك نقطة ثانية في الموضوع دقيقة
جداً: هي أن الإنسان ولد في مكان،
وهذا المكان محبّب له جداً، والدليل:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا
قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾

[سورة النساء الآية: ٦٦]



علم ولا تعنّف

كل واحد بلده محبب له، مسقط رأسه محبب إليه، لكن الإنسان مخلوق للجنة، فإذا منعه بلده أن يطيع الله عزَّ وجل، ماذا عليه أن يفعل؟ يجب أن يغادر إلى بلدٍ، يطيع الله فيه، لأنك أنت مخلوق لعبادة الله، والدليل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٥٦]

علّة وجودك على وجه الأرض أن تعبد الله، فإذا كنت في مكان، وحيل بينك وبين عبادة الله، وجب عليك أن تغادره إلى مكانٍ، تعبد الله فيه، مكان فيه ذل، وفيه قهر، المكان الذي تعبد الله فيه هو الجنة، والمكان الذي تُقهر فيه هو جهنم، فلذلك آية الهجرة دقيقة جداً، لكن والعياذ بالله الآن هناك هجرة في سبيل الشيطان، الناس يهاجرون من بلدٍ يقيمون فيه شعائر الإسلام، فيه دروس العلم، وشعائر الدين، وفيه روحانية، ومع ذلك فهناك مَنْ يدعُ كل هذه الميزات، من أجل الدرهم والدينار .

حدثني أخ كريم، كان في بلد في أوروبا، قال لي: دخلت إلى مسجد في فرانكفورت لأصلي، على مقربةٍ منه حديقة، أنا ظننتها حديقة عادية كأبي حديقة، فلما وصل إلى هذه الحديقة، فإذا بالناس كما خلقهم الله، من دون شيء، رجالاً، ونساءً، وأولاداً، ويمارسون كل الفواحش علانيةً. فأنت في بلد فيه بقية حياء، فيه بقية



خجل، فيه بقية دين، فيه ترابط أسري، لذلك المصيبة الكبيرة، أن تهاجر من بلدٍ، تقام فيه شعائر الدين إلى بلدٍ متقلبت، هذه هجرة عكسيّة، هجرة في سبيل الشيطان .

حدثني أخ أقام في بلد أجنبي، قال لي: حينما عدت إلى دمشق، وسمعت الأذان، اقشعرّ جلدي، هذه نعمة الأذان، لا يعرفها إلا من فقدّها، المقت، الكفر، الحانات، الملاهي، دور سينما، نساء متقلّبات، دور بغاء، هذه بلاد الغرب، نحن عندنا هنا مساجد، كل مئة متر مسجد، دروس صباحاً، وظهراً، ومساءً، نحن في نعمة كبيرة جداً، لا يعرفها إلا من فقدّها، هذه النعمة نعمة مجالس العلم، هذه نعمة عظيمة .

فالمسلمون في الحبشة، قاموا بواجباتهم الدينيّة، ودعوا إلى الله، صار في دعوة هناك أيضاً، والدليل: أن النجاشي ملك الحبشة، أسلم ممن أسلم، وصلى النبي عليه صلاة الغائب، يُعد النجاشي

من التابعين، لم ير رسول الله، لكنه يعد تابعياً جليلاً، والنبي صَلَّى عليه صلاة الغائب، وحينما قديم وفد النجاشي، خدمهم النبي بنفسه، ما هذا الإكرام؟ بنفسه، نكفيك ذلك، قال:

((لا أحب أن أكافنهم كما أكرموا أصحابي))

أيها الأخوة، هذه الهجرة إلى الحبشة هجرة مباركة، فأنت بحاجة أحياناً إلى جو مريح تعبد الله فيه، الاضطراب الشديد، والفتن، والخصومات، والقمع، هذا جو متوتّر، لا يعينك على معرفة الله، فلذلك أحياناً يختار الله عزّ وجلّ لبعض المؤمنين مكاناً بعيداً عن المدينة، فالإنسان بحاجة إلى خلوة مع الله



فالنبي كان يخلو مع ربه الليلي ذوات العدد، أما أنت كمؤمن فمكلّف أن يكون لك خلوة مع الله عزّ وجلّ، فهؤلاء الصحابة الكبار الذين عاشوا في بلاد الحبشة، في ظل ملكها، وفي دعة وراحة، هؤلاء بنوا إيمانهم .

وبالمناسبة أخواننا الكرام، شباب ومتزوجون، الإنسان قبل الزواج، فيما قبل الزواج، هناك ميزات لا يعلمها إلا

المتزوج، أنت خفيف، لا يوجد معك أحد، ليس هناك ارتباط، ممكن تصلي، تقرأ قرآن، تحضر دروس علم، تتفوّق بالدين، وقت بناء الإيمان، لكن الزواج كما ورد:

((مجبنة مبخلّة مشغلة))

فإذا واحد قبل أن يتزوج ليستغل هذه الفرصة:

((اغتتم خمسا قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك

قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))

فكل سن له جمال، ما قبل الزواج أنت متفرّغ، يمكن أن تسهر، تقرأ، تدرس، لا يوجد إنسان يسألك: أين أنت؟ أما المتزوج: أين أنت إلى الآن؟ أين ذاهب؟ لا تذهب إلى هذا الدرس، اقعده عندك عقبات، أما الأعزب فهو طليق، يحضر كل دروس العلم، لا أحد يحاسبه أساساً، أما عندما يتزوج فيجب أن يوفّق بين حقوق الزوجة وبين حقوق الله عزّ وجلّ .

ما الخبر الذي فوجئ به عثمان وزوجه رقية حينما وصلا إلى مكة، ومتى هاجرت رقية مع زوجها إلى المدينة، ولم لم يحضر عثمان غزوة بدر، وما الخبر الذي فوجئ به النبي بعد عودته من بدر؟

أخواننا الكرام، توهم بعض الصحابة الكرام، وهم في بلاد الحبشة، أن قريش رجعت إلى رشدها، وأنها تقبلت هذا الدين العظيم، فكان هذا الوهم دافعاً لبعض أصحاب رسول الله أن يعودوا إلى

مكة، من هؤلاء سيدنا عثمان، وابنة النبي عليه الصلاة والسلام رقية، استقلا سفينة، وعادا بها إلى مكة، فإذا الحقيقة عكس ذلك، كان أصحاب النبي المستضعفون، يذوقون ألوان العذاب على يد كفار قريش .

عادت رقية رضي الله عنها مع زوجها عثمان إلى مكة، وفوجئا بهذه الحقيقة المرة، ثم فوجئت أن أمها خديجة قد توفاهما الله عز وجل، فلاذت بأبيها، ورأت ما يفعله كفار قريش من تنكيل بأصحاب رسول الله، ثم أذن الله للنبي عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة المنورة .

هاجرت رقية مع زوجها عثمان إلى المدينة، وفي المدينة وضعت ابنها عبد الله بن عثمان، عندما وضعت ابنها عبد الله بن عثمان في المدينة، أصيبت بمرض الحصبة، فأقام زوجها عثمان رضي الله عنه إلى جانبها يمرضها ويرعاها، ولما استتفر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه لغزوة بدر .

-الآن في غزوة، في جهاد، والجهاد ذروة سنام الإسلام، وسيدنا عثمان زوجته مريضة ، أمره النبي أن يبقى إلى جانب زوجته، تمرىب الزوجة من خلال هذه الحادثة، يعدل الجهاد في سبيل الله، أرأيت إلى العلاقات الأسرية ما أقواها في الإسلام؟ .

الشيء الأغرأ: أن سيدنا عثمان لم يشهد هذه الغزوة، غزوة مشرفة، أعز الله بها الإسلام والمسلمين، وانتصروا فيها، وقد فات عثمان رضي الله عنه شرف هذه الغزوة- فلما وزعت الغنائم، عد له سهم كما لو كان مشاركاً في هذه الغزوة، -أرأيت إلى العمل الطيب؟ هو يمرض زوجته في المدينة، وعد عند رسول الله من المجاهدين، لذلك عندما قال النبي لامرأة:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من ورائك من النساء، أن حسن تبعل إحدانك لزوجها، وطلبها

مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله))

وبالمقابل حسن رعاية الزوج لزوجته، يعدل الجهاد في سبيل الله، عد مع المجاهدين، ونال نصيب الغنائم كما لو كان مجاهداً- .

ثم عاد النبي عليه الصلاة والسلام من معركة بدر منتصراً عزيزاً، ففوجئ بوفاة ابنته رقية، لذلك حينما أخبر بوفاة رقية رضي الله عنها بكى، ودمعت عيناه الشريفتان على فراقها، ثم ذهب مع ابنته فاطمة، لزيارة قبر ابنته رقية، فقعدت فاطمة بقرب القبر تبكي، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عن عينها بطرف ثوبه، يخفف من



بكى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته رقية حين توفيت

أحزانها، طبعاً هذه ابنته، ولا بدّ أن يزور قبرها، وأن يدعو لها، لكن هذه القصة ذكرتني بقصة ثانية:

امرأة في أدنى درجة اجتماعية، كانت تقمّ المسجد، أي تنظفه، أي بحسب السلم الاجتماعي هذه مرتبة دنيا، وقد يكون هذا العامل في التنظيفات مستقيماً، قد يكون أرقى عند الله من إنسان له شأن كبير، الأمور عند الله بمقياس آخر، بمقياس الإخلاص، بمقياس الاستقامة، فهذه المرأة التي تقمّ المسجد ماتت، لضعف شأنها، ولهوانها على الناس، رأوا أنه لا ينبغي أن يُخبر النبي بموتها، فالصحابه الكرام اجتهدوا أن هذه المرأة التي تقمّ المسجد، ليس لها أي دور، ليست من المكانة حيث إن النبي يبلغ عن وفاتها، ما يبلغ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه:

((أَنَّ أَسْوَدَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، كَانَ يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، وَلَمْ يَعْلَمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْبَشَرُ؟ قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أَدْنُمُونِي؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا قِصَّتَهُ، قَالَ: فَحَقَرُوا شَأْنَهُ، قَالَ: فَذَلُونِي عَلَى قَبْرِهِ، فَأَتَى قَبْرَهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما]

خجلوا، فذهب إلى قبرها، ودعا لها، فليست ابنته فقط، ذهب إلى امرأة، تقمّ المسجد فقط، وهي في المرتبة الدنيا في السلم الاجتماعي، فالقضية قضية مبادئ، قضية قيم، قضية مشاعر.



أيها الأخوة، فالإنسان ينبغي أن يعلم علم اليقين: أن هذا الدين العظيم ما وصل إلى أطراف الدنيا إلا بهذه القيم، وحينما فهم الدين عبادات، وصلوات، ورقص أحياناً، وغناء أحياناً، ومظاهر، والدين في واد، وحياة الناس في واد، عندئذ أصبحت كلمة المسلمين ليست هي العليا، رفرفت راياتهم في الخافقين، حينما فهموا الدين قيماً، أما

حينما فهموه طقوس، الآن الدين طقوس، أي أن فلان يصلي، إنه صاحب دين، أما أمين غير أمين، صادق غير صادق، مقياس الدين عند الناس أنه يصلي فقط، أما مقياس الدين عند الله عز وجل، أو عند رسول الله، اسمعوا هذا الحديث:

((هَلْ تَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟ هَلْ تَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عَرَضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيَقْعُدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،

فَإِنْ فَنَيْتُ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ
فِي النَّارِ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

هذا هو الفهم الصحيح للدين، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا .

والحمد لله رب العالمين